قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: نعم، أيّها الشيخُ الجليلُ، فمنذ أنْ غادرتُ مجلسَك أمْسِ، ذهبتُ إلى إحدى المكتبات، واشتريتُ المعجمَ الوسيطَ، وبدأتُ أقرأُ فيه، وأستمتعُ بما أقرأ، وشرعتُ أُدوّنُ فوائدَ للمعجم غير ما ذكرتَ، لأطلع شيخي عليها، لعلّه يغيّر رأيه في تلميذه، ويسرّ من اجتهاده، ويثني عليه، لأنّ حبّ الثناء طبيعة الإنسانِ.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: أَطْلِعْني يا بُنَيِّ، على ما دوّنْتَ من فوائدَ جديدةٍ للمعجم، وأنا مسرورٌ أنْ أستمعَ إليكَ، في مجلس اليوم.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: للمعجم فوائدُ كثيرة، من أهمّها التّمييزُ بين الأفعال المتعدّية واللازمة، ومعرفةُ الاشتقاقات الصرفيّة، وخاصةً مصادرَ الأفعال الثلاثية، لأنها سماعية في المقام الأول، ومعرفة الجموع، وبيانُ الصّفة اللّغوية للكلمة، والتمييز بين الكلمات التي تلتبس أصواتُها، إذ يلتبسُ الأمرُ على كثير منّا حين يصفون البَرْدَ بأنّه قارس أم قارص.

ويطلعنا المعجمُ العربيّ – أيضاً – على ظواهرَ لُغويّة كالمشترك اللفظي، والأضداد، فضلاً عن التثبت من الرّسم الإملائي. ويعرّفنا بتاريخ الألفاظ، وتطوّرها عبر رحلة العربيّة الطويلة، واستعمالاتها.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: لقد سَرَرْتَني يا بُنَيّ، وحقّقتَ ما وعدتَ به من مثابرة على درس العربية.

قال الطالب الفتى لأُستاذه الشَّيْخ: أرجو من أستاذي وشَيْخي ألاّ يَضيقَ صدرُهُ بكثرة أسئلتي، فقد أصبحتُ شَغوفاً بهذا الدّرس اللّغويّ، ولا أريد أن أغادرَهُ قبل أن تتّضحَ في ذهني مُخْتَلَفُ جوانبه. وأريد أن تعرضَ لي أهَمّ هذه المعجماتِ، وطرائقَ استعمالها، لأنّها – كما أعْلَمُ – كثيرةٌ، ومتنوّعةُ المناهجِ.

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: اعلَمْ يا بُنيّ، أنّ الخليلَ بْنَ أَحْمَدَ هو أوّلُ مَنْ وَضَعَ معجما لُغويّا ناضجاً، هو معجم العَيْن، فوضع للّغويين منهجَ التّأليف المعجميّ، ثمّ توالَتِ المعجماتُ تتدفقُ بعده، تنهجُ نَهْجَهُ، أو تُخالفُهُ في بعضه، فكانَ آخِرُ مُعْجَمٍ هو المعجم الوسيط، الذي أصدره مَجْمَعُ اللُّغةِ العربيّةِ في القاهرة.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: أفهمُ ممّا أخبرتني به، أيّها الشيخُ الجليلُ، أنّ لدينا سَيْلاً متدفّقاً من المعجماتِ القديمةِ والحديثة، أوَ تريدُ أن تفصّلَ القولَ في مُؤلّفيها، ومناهجها، والمدارس المعجميّة، التي ينتمي إليها كُلُّ معجم؟!

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: مَعاذَ الله، يا بُنَيّ، أنْ أكلّفَكَ ما لم تَسْطَعْ عليه صبرا، فأنا رفيق بك، ومُشفق عليك في آنٍ، وأُريد أنْ أُحدّثك عن معجمين لا ثالث لهما، وهما: معجم لسان العرب، والمعجم الوسيط.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ولِمَ اخْتَرْتَ هذين المعجمين، دون سواهما؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: لقد اخترتُ لك هذين المعجمين، لأنّهما ينتميان إلى مدرستين معجميتين كبيرتين: الأولى تسمى مدرسة القافية، وخَيْرُ معجمٍ يمثّلها مُعْجَمُ لسان العرب، وهو يُعَدّ معجماً موسوعيّاً، جَمَعَ مُؤلّفُهُ فيه مادّتَه من خمسة مصادر، وهو يغنيك عن غيره في دقّة الاستقصاء، ووضوح المنهج. وهذا المعجم – شأنُه شأنُ المعاجم القديمة – وقف باللّغة عند حدودٍ زمانيّةٍ ومكانيّة معيّنة، ولم يستطعْ مُؤلّفُهُ أنْ يتجاوزَ عصر الرّوايةِ (عصر الاحتجاج)، مثلما لم يستطعْ غَيْرُه من مؤلّفي المعاجمِ القديمةِ أنْ يتحرّروا من هذا القيْد، الذي وضعه اللغويون من قَبْلُ.

والمعجم الوسيط معجم معاصر، ينتمي إلى مدرسة "أساس البلاغة"، التي يُعَدّ الزّمخشريّ رائداً من روّادها، وهذا المعجم اخترق الحدودَ الزمانيّة والمكانيّة، التي ظلّ المعجمُ القديمُ أسيراً لها، فاستشهد بالشّعر والنثر مهما يَكُنْ عَصْرُ قائله، وأدخل المؤلّفون في المعجم ألفاظَ الحضارةِ والفنونِ وما يحتاج إليه الطّالبُ في هذا العصر.

لســـان العـــــرب

مؤلفـــــه:

ابن منظور، وهو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي. ولد في المحرم من سنة 630هـ، وتوفي سنة 711هـ.

عمل ابن منظور في ديوان الإنشاء طوال حياته، ثم ولي قضاء طـرابلس، وكان ميله إلى التشيع. أجمع مَنْ ترجموا له على أنه كان مُحدّثا فقيها، فأخذ عنـه كثيرون، وكان عارفا بالنحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة.

كان ولوعا باختصار الكتب المطولة التي صُنّفتْ قبلـه، فاختصـر كتـاب "الأغاني" و "الذخيرة" و "تاريخ دمشق". وقال الصفدي: لا أعرف في الأدب وغيره كتابا مُطولاً إلا وقد اختصره. وبلغت الكتب التي دونها بخطه خمسمئة مجلد[1].

الدافع الذي دفع ابنَ منظور إلى تصنيف معجمه " لسان العرب ":

يقول ابن منظور في مقدمته: "وإني لـم أزل مشـغوفا بمُطالعـات اللغـة والاطّلاع على تصانيفها، وعللِ تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما مَـنْ أحسن جمعه، فإنه لم يُحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه، فإنه لم يُجدْ جمعه، فلـم يُفد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع[2].

ومعنى هذا أنه شاء بوضعه هذا المعجم أن يجمع بين الحسنيين: بين إحسان الجمع، وإحسان الوضع، أي بين الاستقصاء في المادة، وسـلامة العـرض. وقـد ضرب مثلا "تهذيب اللغة" للأزهري، و"المحكم" لابن سيده، على كتب اللغة التـي توافرت في مادتها الدقة والإتقان، ولكن عابها سوء الترتيب واختلاط التبويب. ومن جهة أخرى ضرب مثلا صحاح الجوهري على حُسن الترتيب والنظام، وإن كـان من حيث المادة مختصرا، فضلا عما فيه من الخطأ والتصحيف.

([1]) الزركلي: الأعلام، 7 / 108.

([2]) ابن منظور: لسان العرب 7/1.